

خطاب جلالة الملك بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

منذ ربع قرن وأنا مطوق بالتحدث إليك عن ملحمة من ملاحم بلادك، ومفخرة من مفاخر تاريخك وأمجادك.

ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا قيل الكثير وكتب الكثير، وحاولت كل سنة أن أبحث أو أن أستنبط من حكمة وفلسفة ومشيئة ثورة الملك والشعب مبادىء ومقررات تجعل شبابنا على الأخص أولئك الذين ولدوا ابتداء من سنة ألف وتسعمئة وأربعين والذين كان سنهم الثامنة حين وقع ما وقع أن أذكرهم، لأن الذكرى تنفع المومنين.

وقد اخترت اليوم كفكرة أساسية لخطابي هذا، فكرة الإستمرارية بالنسبة لما بعد وما قبل ثورة الملك والشعب.

حقيقة شعبي العزيز حينما يرجع القارىء إلى التاريخ القريب أو البعيد قلما يجد شعباً وأمة ووطناً أرادوا أن يتشبثوا كل التشبث بتقاليدهم وعوائدهم، وبالأخص تلك التي عاشوا فيها قبل ثورتهم.

فقد رأينا أن كثيراً من البلاد والأوطان التي استرجعت استقلالها وسيادتها سرعان ما غيرت لون وشعار علمها، أجل سرعان ما غيرت نشيد وطنها كأنها هي خجلة من تلك المعالم، كأنها وسيادتها خرجت من معركتها منقوصة أو ملطخة.

أما نحن ــ ولله الحمد ــ فاعتبرنا أن فترة الإستعمار والحماية لم تكن فترة انقطاع، بل كانت فترة تعليق، وهناك فرق كبير من الناحية القانونية بين التعليق وبين الإنقطاع.

فالتعليق معناه أنه ولو كنا تحت الحماية ولو كنا لم نمارس سيادتنا كاملة لم ننقطع في تحمل أعباء ولو قليلة من تلك السيادة، فلهذا يمكن أن نقول : ان سيادتنا واستقلالنا وقع فيهما تعليق، لا انقطاع، الشيء الذي جعلنا بالطبع حينما رجع والدنا طيب الله ثراه محمد الخامس من المنفى، نرجع بكيفية تلقائية إلى عوائدنا وتقاليدنا وإلى ما كنا نعيش فيه قبل الحماية ومدة الحماية.

فقد دخلت بالطبع على حياتنا اليومية قواعد جديدة للتساكن والتعايش، فنظم القضاء، ونظمت الوظيفة العمومية، وخلقت الأطر القانونية لكي يتمتع الفرد والجماعات بحقوقهم وحرياتهم، ولكن الأصالة والسلالة لم يطرأ عليهما أي تغيير، بحيث كل أوربي يأتي إلى المغرب وكان عرف المغرب سنة ألف وتسعمئة وأربعين، يأتي اليوم ويرى المسلمين المغاربة قاصدين الجوامع للصلاة، ويراهم يحتفلون بأعيادهم، ويرى ملك المغرب وخادمه في لباسه التقليدي أو فيما يحيط به من تقاليد للسلطة العليا، يمكنه أن يقول : والله لم يطرأ تغيير فيما يخص الروح والجوهر، ذلك لأن المغرب حجرة لا يزعزعها من أراد، لأن شجرة المغرب لها عروق طويلة وعميقة جداً في التاريخ والأمجاد، لأن المغرب حينما اختار، اختار بالنسبة لنفسه، لا بالنسبة لمن يجاوره، ذلك لأن المغرب

أرادت مشيئة الله سواء بالجغرافية أو بالجوار أن يعيش على نفسه وأن يعتمد عليها، والمثال هو الآتي :

من نعم الله على بلادك شعبي العزيز، أنها لم تكن ولن تكون ممر حضارات وأمم، لأن بلدك يحده البحر في الغرب، وكان يحد بلدك شمالا الإفرنج أو المسيحيون، وكان يحد بلدك في الجنوب الصحراء الشاسعة، وكان يحد بلدك من الشرق النظام العثماني وما قبله من أمويين وعباسيين وغيرهم الذين لم نرد أبداً أن نخضع لأي واحد منهم، فأصبح المغربي بين العدو الديني شمالا، وبين الصحراء الشاسعة جنوباً، وبين المحيط غرباً وبين العدو السياسي شرقاً، مرغماً على أن يعيش على نفسه، بل أن يبتكر سبل معيشته ويكد ويجتهد حتى يصبح منافساً في العلم والعلوم والعمران والدين والفقه، وكذلك كان، وهذا هو المهم في وسائل عيشه اليومية، مع ذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى حبانا جغرافياً بما حبانا به من المراعي، وحبانا به من الأراضي النافعة للزراعة، وحبانا كذلك بالمياه الكثيرة.

هذه كلمات شعبي العزيز، عناصر مهمة جداً يمكن أن تكون موضوعاً لدراسات عديدة، هذه كلها هي العناصر التي جعلت منك شعباً خاصاً وخصوصياً، ومن لم يفهم هذا وبالأخص من بعض إخواننا في شرقنا فإنه لن يفهم أبداً المغرب ولا المغاربة، ولن يفهم أبداً تصرفات المغرب والمغاربة، ولن يمكنه بالطبع من باب التبعية أن يكون على ذبذبة واحدة معنا. ولما أقول ــ معنا ــ أعني معنا نحن المغاربة، بحيث شعبي العزيز، هناك الإستمرارية فيما بعد الثورة، الإستمرارية التي لا مركب لها بالنسبة لماضيها.

سأروي لك شعبي العزيز قصة، لأنني أعتبر شخصياً أن حياة والدي ووالدك رحمه الله ليست مقصورة على بعض الأفراد الذين تشرفوا بمعايشته وخدمته وتقبيل يده ورجله : حينما كنا في المنفى، قالوا سنرجع إلى فرنسا فأخذ سيدنا رحمه الله طربوشاً أبيض وجلباباً، فقلت له : الله يهدي سيدنا، إن سيدنا يكون أنيقا بالشاشية وتواتيه، والآن يا سيدي لندخل لبوفالون بالشاشية، فماذا كان جوابه. قال لي : إنني لم أكره، وهناك عدد من الناس يظنون أنه أراد قطع ما بعد غشت 1953 عما قبله، لا، هذا حادث سير يتعلق بالتاريخ، ولكن لا بأس من أن تتمتع به حتى أنت ــ شعبي العزيز ــ قال لي : لم أكره أن ألبس الشاشية وأعرف أنها تواتيني، ولكن يوم أعدت لي أسرتي حاجياتنا في غشت 1953 أرسلت لي عدة أشياء ونسيت شواشي، بحيث من كان يرى أن في تغيير محمد الخامس طيب الله ثراه للباسه كان يريد أن يتنكر لماض قريب، فهو مخطىء وخطأه مسموح له به.

الحقيقة كما قلت لك هذه بعض اللطائف لحياته الخاصة.

حقيقة كان رحمة الله عليه يؤكد على أنه لا فرق بين البارحة واليوم حتى يبقى الإستمرار، الإستمرار في العادات وفي التقاليد وفي المشروعية، فلو كنا تنكرنا ولو لحظة عين لمل قبل عشرين غشت أو لمدة 1953 أو 1955 لكنا وقعنا في تلك الغلطة التي كانت تؤدي بنا لا إلى التعليق بل إلى الإنقطاع، وسيأتي وقت تجد فيه أساتذة يمكنهم التفرغ ــ شعبي العزيز ــ لإعطائك الفرق بين التعليق وبين الإنقطاع وبالاخص فيما يخص الممتلكات وتاريخنا هو أعز ممتلكاتنا، فلهذا شعبي العزيز، أقترح شخصياً ــ كما تنظم ندوات سنوياً فيقال هذه كلية الصيف هنا، وهذه كلية الصيف هنا ــ أن تنظم كلية الصيف التاريخية المتعلقة بتاريخ 1902 أيام مولاي عبد العزيز إلى 1955 تاريخ رجوع والدنا رحمه الله من المنفى، وأن تكون هذه الكلية مناسبة للكهول لأن يتذكروا ويفتخروا ويعتزوا، ومناسبة للشباب لأن يعلموا، لأنه من لم يعلم قيمة الكنز الذي هو مؤتمن

عليه ربما يكون مقصراً في الحفاظ على ذلك الكنز.

وقررنا بحول الله وقوته ومشيئته وبمشاركة جميع الذين خاضوا هذه المعركة من قريب أو بعيد مثقفين كانوا أو غير مثقفين، قررنا إن شاء الله أن يكون ذلك في الصيف المقبل كل سنة في الدار البيضاء نظراً لمناخ الصيف، وقد كان من الممكن أن تكون هذه الندوة في فاس أو مراكش أو الأطلس الكبير أو تكون في الشمال، أو في بورد، أو الريف أو سوس لأنه ولله الحمد ما من بقعة من وطننا إلا ورويت بدم الشهداء ودم المحاربين منذ أن خلق المغرب إلى يومنا هذا.

ولكن قلنا الدار البيضاء نظراً لتوفر الوسائل بها، وسنتمكن آنذاك كل سنة من أن نعيش ساعات تذكرنا بما لنا من تاريخ وأمجاد وتنبهنا لما علينا من حفاظ ورعاية ووقاية لهذا الرصيد الذي لا مثيل له.

ولا أريد شعبي العزيز، أن أتطرق إلى موضوعات مثل هذه دون أن أتطرق إلى نقطة مهمة جداً في هذا كله.

إن ثورة الملك والشعب لم تكن ثورة الملك وحده، ولم تكن ثورة الشعب وحده، بل كانت ثورتهما معا، ويمكن أن يقول : إن المغرب كله كان ثائراً، فلهذا يمكننا أن نقول : إن المغاربة كلهم كانوا أعضاء المقاومة وأعضاء جيش التحرير، ولكن هناك ثلة وجماعة ظهرت دون غيرها جماعة من المقاومين وجماعة من جيش التحرير.

وأظن أنه قد آن الأوان لأن تنظم هاتان المجموعتان على أسس جديدة، فالمشكل هنا ليس مشكل جيش التحرير لأن أعضاء جيش التحرير معروفون، وكما تعلم — شعبي العزيز — في يوليوز 56 بمجرد ما نزلت من الطائرة التي رجعت بي من القاهرة في ذلك اليوم وبأمر من والدي سيدنا رحمه الله أخذت السيارة وقصدت مدينة فاس لتهدئة الأفكار ولإدماج جيش التحرير في القوات المسلحة الملكية، وقد تطلب ذلك العمل على الأقل شهراً ونصفاً إن لم يكن أكثر، فمشكل العد والإحصاء والرتب بالنسبة لجيش التحرير مشكل معروف عندنا في الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية، فكلهم اندمجوا ووقعوا برتبهم وباسمهم وبقدمهم في جيش التحرير.

هناك بالطبع — وهذا كذلك شيء لا يعرفه الشباب — انبثق عن جيش التحرير هذا جيش تحرير، الأول كانت مهمته أن يحرر يفني في آية باعمران ووقع ما وقع بالأخص حينما كان والدي رحمة الله عليه في الولايات المتحدة في زيارة رسمية ووقعت مناوشات بيننا وبين الإسبان وتهديدات منهم بحيث جاءت بواخر حربية ظهرت أمام أكادير، والقسم الثاني من جيش التحرير كان يحاول تحرير الصحراء المغربية ووصل إلى اطار في موريطانيا، ولولا اتفاق الجيش الفرنسي الذي كان يعمل في الجزائر والجيش الإسباني الذي كان موجوداً في الصحراء لا أدري ماذا كان من الممكن أن يكون، ولكن لم تسلم الجرة إلا باتفاق الجيشين الإسباني في الصحراء والجيش الفرنسي في الجزائر، بحيث لا أظن أن هناك أي مشكل بالنسبة لجيش التحرير.

أما بالنسبة للمقاومين، فجلهم أو بعضهم وافتهم المنية رحمة الله عليهم، ولكن هناك من الباقين على قيد الحياة من أعرفهم شخصياً وقد حباني الله سبحانه وتعالى شرف الصحبة، فكنت «ثاني اثنين إذ هما في الغار» ، حباني شرف الصحبة لوالدي رحمة الله عليه، الشيء الذي جعلني مؤهلا لأن أكون شخصياً مكتبا من مقاومين معروفين أعرفهم شخصياً، يكون لهم من جملة ما يكون لهم من الواجبات الإحصاء الدقيق والدقيق جداً لقدماء المقاومين وبمجرد ما يتم الإحصاء — إن شاء الله — سننظم هذه الهيأة على أسس جديدة، وعندنا — ولله الحمد



ــ أفكار في هذا الباب، ولنا أمثلة من الدول التي تجاورنا بالأخص في أوربا، تلك الدول التي سننهج نهجها حتى يمكننا أن نشرف ونكرم هؤلاء الذين كانوا بارزين في هذا النضال وهذا الكفاح.

ومعلوم كما قلت، لو لم يكن المناخ صالحاً لهم لفشلوا تماما، ولهذا أقول ان المغاربة كلهم جيش تحرير ومقاومون، لماذا ؟ لأنه تبعاً لمبدأ ماوتسي تونغ، فإن التأثر يجب أن يكون كالسمكة في الماء، والتأثر بهذا المفهوم إذا لم يجد المناخ اللائق به، وإذا لم يجد الجو اللائق به، وإذا لم يجد تكاتف وتعاضد المواطنين فلا يمكنه أن يقوم بأي شيء، وهذا ما نسميه المخرب المدمر، أما التأثر المغربي بالنسبة لثورة الملك والشعب، فهو ذلك التأثر الذي اجتاز البوغاز وجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمته في الديار الأفرنجية، أما هؤلاء الثوار فكانوا دائماً وسيظلون يجدون أنفسهم كالسمكة في الماء، بمعنى يجدون من ورائهم ومن أمامهم وعن يمينهم وشمالهم.

فلهذا شعبي العزيز، إذا نحن قمنا بهذين العملين : تنظيم كلية تاريخية صيفية في كل سنة تذكرنا وتعلمنا وتلقننا، وإذا نحن في هذه السنة وجدنا الحل النهائي وسنجده، لأننا قررنا أن نجد الحل النهائي اللائق بقدماء جيش التحرير وقدماء المقاومين، فسنكون قد قدمنا لبلدنا وبالأخص لأبنائنا عملا يساوي ذلك العمل المقدس الذي نقوم به حينما نجمع خزانة للكتب، لأن الرجال والكتب على السواء كلهم أساتذة تاريخ وكلهم أصحاب عبرة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : «إني تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك».

لقد ترك محمد الخامس رحمة الله عليه والشهداء الذين سبقوه أو رافقوه ــ بتضحيتهم وتعاليمهم وتواضعهم وصمودهم وإيمانهم ــ محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

اللهم أجعلنا دائماً على تلك المحجة البيضاء، اللهم أهدنا الصراط المستقيم، اللهم أجعل شعلة الوطنية والغيرة والحكمة والإقدام متعددة الأطراف دائماً ومضيئة في قلوبنا ومشعة في سرائرنا ومنيرة لوطننا الآن وفي المآل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يارب العالمين، إنك سميع الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 14 ذو الحجة 1406 ــ 20 غشت 1986